ANCORA IMPARO

العصور

يناير ١٩٢٩ اعرف نفسك بنفسك : فيثاغورس العدد ١٧ مجلد ٣

الابولوجيا

او

دفاع سقراط عن نفسه

ترجمها وحشاها (افلاطون) ـ وقد ترجماها عن اصل الجليزي بقلم
س ـ ف . م ستاول F. M. Stawell

١ ـ قبل الفتوى بادانته

— ١ —

لست اعلم يا أبناء أثينا ما شعرتم به لا انتم مظرقون تصغون الى الذين يتهمونني ، فان السبيل التي سلكوها للتأثير فيكم في السبيل المثلى ، حتى لقد انساني تظاهرهم بصحة الحق نفسي ، وعلى الرغم من هذا فانهم لم يقولوا كلمة واحدة التي هي بالحقيقة الحق والصواب . على اني لم أوخذ بغزارة الفنون وعاملتي محاذيرهم

ايكم من الا تفتنوا بسحر بيانى ، زعما منهم بانى الخطيب المصقع الكبير ، وانهم ليعلمون علم اليقين لى سوف أدحض فهم البرهان بالبرهان ، واضرب لهم الحجة بالحجة ، وغير لكم ظهور المجن إذ يأتلق ضوؤه ، انى لست بالخطيب الكبير القريض زمام بلاغته على لغة البيان ، و بقصاحة بيانه على عقل مشاعركم . ولقد يخفى على ان عصمة عصمتم ماوصل اليه علومكم واتجهت اليه وقاحتهم ، ملم يكن قصدهم بالخطيب الكبير رجلا نقل الحق ويحرره . انما اذا كان هذا قصدهم ، فانا عند قولهم : انا فى الخطيب . غير انى لست منهم فى شىء . فانهم لم يقولوا كلمة حق واحدة جديرة باحترام العقلاء . انما من يقف امامكم اليوم ، فستسمعون الحق الصراح .

يا أبناء أثينا ـ ان يتبادر الى اذهانكم انكم ستسمعون منى ذلك الكلام المنمق ، وتلك الجمل المزخرفة التى يضيع الحق فى تضاعيف باطلها ، بل كلام دارج وجمل مرسلة على غرارها خالية من آثار التصنع ، وتكاليف الاصباغ . وانى لاعتقد اعتقاداً لاتزعزعه ريبة فى أن ما سأقوله اليوم هو الحق ، والحق نفسه . لذلك ينحصر املى فى أن لايدهشكم احدكم غير استجلاء الحقيقة ، حيلة العقلاء . والحقيقة يا أبناء أثينا ، انه غير جدير برجل بلغ من العمر ما بلغت ، أن يقف امامكم وبين يديه دفاع معد من قبل كما تفعل الصبيان . وليس لى عليكم من سلطان الا ان اسألكم امراً واحداً ، لاتبخلوا منكم عنه حولا : فانكم ان وجدتمونى اتكلم خلال الدفاع عن نفسى كما تعودت أن اتكلم فيكم من قبل فى الاسواق وساحات المدينة ، وكما سمعتمونى فيها كثيرا منكم وفى غيرها من الأماكن ، فلا تعجبوا فى الجلبة والصخب ، ولا تخطوا على سياقى قولى . ولقد حسن بى الآن أن اشرح لكم حقيقة حالى . فأن هذه الساعة هى أول فترة من عمرى ، وقد بلغت السبعين ، ولم أقف فيها ذات مرة من نفسى فى محكمة قضائية ، وجهلت كل فيها شبهة ما . ولذا تجدوننى غريباً عن الاصطلاحات التى اعتادت بها المحاكم

من لغتنا . اما وقد سمحتم لي بالكلام كما لو كنت بعيداً عن لغة وعجمة ولست وربيت بعيداً عنها ، فانه يخيل الى أنه من حق أن لسانكم الاصلي وأن تتحملوا عياي ، أقول حسن لديكم أم قبح ، وأن تصرفوا اذهانكم الى تحقيق قضية واحدة لاتتعدد ، بل هي مقصورة على امر واحد هو . « هل ما تسمعون مني صواباً أم غير صواب » هذه هي فضائل الفضاة العدول ، كما أن فضيلة الخطيب مقصورة على أن يقنعكم بالحقيقة الخالصة .

— ٢ —

والآن يا أبناء أثينا ، اذ تهمتم اقناع من نفسي ، يحسن بي أن ابدأ بدليل الخطأ في أول ملوجه الى من قبلكم التهم الثلاث ، وفي اول من اتهمني منكم ، ثم اعقب عليهم بمن تبعهم ، وانكم لتعلمون ان من اتهموني واقنعوا على منكم بخطئهم العهد ، وقدموا من قبل خلال سنين عديدة بدون حدى اقتراء تهم . واني من بينهم أشد خشية وأكثر خوفاً من سعاية « أنيتوس » وحميته ، وان أنها حمية رهيب كيدها ، مخيف مكرها . ومع هذا فان الاولين ، يا أبناء أثينا ، هم أولئك الرجال الذين ربوكم من صغركم وظلوا يتهمون عليكم منذ حداثتكم ، وقد كنتم من أعمالكم منذ ذلك العهد البعيد ، قادرين لتحيوني من التهم المفتراة ما شاؤوا به فلا جرم يكون حذري منهم مضاعف حذري من « انيتوس » وحميته ، هم يقولون — « انه يوجد رجل يقال له سقراط ، فيلسوف يتأمل في خلق السماوات وما احتوت من حكمة ، ويبحث أسرار الارض وما كمنت من علم ، ويقلب الحقائق حتى ليصور لسامعه حسناً ما ليس بالحسن » . هؤلاء الرجال ، يا أبناء أثينا ، هم الذين نشروا عني في الاقطار هذه الاقاصيص ، وهم الذين أحذرهم وأمقتهم ، لان من يصغي اليهم يخيل اليه أن بدعة العقل تقضي بأن من يبحث هذه المسائل يسلم به البحث الى الزندقة وانكار وجود الله . وعلى الرغم من أن متهمي كثيرون ، فانهم أخذوا يتهمونني أمامكم منذ سنين عديدة اذ كنتم في

أول سنى عمركم معلنين لقبول كل ما يأتونكم به عن انتصر عهدكم بهذه الحياة
وقلة تجربتكم . فقد كان العديد الاوفر منكم فى طور الشباب والقوة وأجرتم
على أحكامها مثلية يفتقدها شرط أساسى من شروط العقل والرشد الانصاف ،
هو بعدى عنكم وغيبتهن تسمعون منه الدفاع عن مسألتى ، وما يريد أدرى منكم
رؤية : أنه لا يمكن أن أعرف كل مذهبى بأعين أعدائهم . وكذلك لا يمكن
أن يؤخذ بأقوالهم ، ما لم يكن فيهم رجل معروف بمثل شجاعتهم ويعتد
مسؤوليتهم . فإن من الذين اتهمونى ، وصرفوا كل عنايتهم فى سبيل
تضليلكم وغرس النفرة فى قلوبكم الاجحاف بحقوقى ، نفر قد أقصوا
البعض منكم ، لانهم بأنفسهم قد أقصوهم غيرهم إيماناً وتضليلاً ، فورث بعضكم
التضليل عن بعض ، منذ سنين . ومن الصعب أن أسلك مع هؤلاء سبيل
النظر فى أمرى ، وليس فى مستطاعنا أن نعود الى هذا المكان نراً منهم
وتناقشهم الحساب على ما جنوا . فقل الآن مثل رجل مصطلم يطيعه مركزه أن
يدافع عن نفسه ازاء خيالات وأشباح صورها له الوهم ، وان يناقش القضاء حيث
لا يجيب . لقد يخلق بى أن أبين لكم أن متهمى قسمان ، فالأولون هم الذين
يتهمونى منذ الزمن أمامكم ، والآخرون هم الذين أتكلم فيهم الساعة . وانهم
لأبعد من هؤلاء فى نظرى خطراً . ويجب أن تتحققوا أنه ينبغى على أن أدافع
عن نفسى أمام هؤلاء قبل غيرهم ، لأن لهم حظ السبق فى الزمان ، وهم أولى من
سمعكم منهم هذه التهم فى ، وكانت حداثتكم أول ما حدى بهم الكى يضحوا
لانفسهم فيها مجالا واسعاً . وانه ليخيل الى ، يا أبناء أثينا ، انه يجب على أن
أعمل جهد امكانى حتى أخرج من أذهانكم خلال هذه المدة القصيرة ما علق
بها من آثار تلك التهم والوشايات الكاذبة ، التى وجدت أرضاً خصبة أينعت
فيها ثمارها . وانى لأتمنى من صميم قلبى أن أصل وإياكم الى هذه الغاية المرجوة ،
وأن أنجح فى الدفاع عن نفسى ، اذا كان فى ذلك خير لى ولكم ، غير أنى أظن

ان ههنا صعبة شاقة ، رغم أنى لست محيطاً تمام الاحاطة بها ، ولكنى أتوسل الى المحكمة الموقرة ، فواجب أن أطيع القانون ولن أبدأ فى الدفاع عن مسألتى .

— ٣ —

على ما تقدم من القول يذهب على أن أبدأ ببحث تلك التهمة التى بنى عليها ما يعزوه الى « ميليتوس » و يتهمنى به . ماذا يقولون فى دعواهم ضدى ؟ أرى من الواجب أن أعتبرهم مدعين قضائيين فاقرأ لكم قرارهم الذى بنوا عليه أساس التهمة . يقولون — « ان سقراط مذنب لانه حاد فى جنب حكومة البلاد ، وانه يعد مجرماً لبحثه الكائنات الارضية والسماوية والاجرام العلوية والطبيعة وما بعدها ، وأنه يضلل الغير بأخيلته الكاذبة ، حتى ليقلب لهم الحقائق ويفسدها » . هذا ما يقولون ، وتلك هى النسخة التى تشكلت بها أقاصيصهم . ولقد أتاكم « ارسطوفانيس » من قبل هذا فى روايته الهزلية بنفس مهزلة اذ جعل بطل الرواية شخصاً يقال له « سقراط » يحمل فى دن ، ويدعى أنه يجتاز أطباق الهواء ماشياً على قدميه ، و يسفسط كثيراً فى أمور ذكرها ، مع انى لا أعلم منها ، بالنسبة لى ، شيئاً قل أم كثر . ولست بقائل هذا القول لازدراء منى وتحقيراً لما يمكن أن يكون هذه الأمور من الشأو والخطر لذا برز أحدكم فيها . أيمكن لميليتوس أن يوجه الى مثل هذه التهمة بعد ؟ ان المفيئة ، بأبناء آمينا ، انى لا أعلم من هذه الأمور شيئاً . انى لا أدعوكم جميعاً ، لو أدعو السواد الأعظم منكم ، أن يكونوا فى هذا الموقف شهودى العدول . ألست أن يكون بعضكم لبعض ظهيراً واسأل الذين سمعونى من قبل ، وجلكم سمع منى كثيراً ، هل طرق سمع أحدكم كلمة واحدة دبت بها هذا علانية بهذه الموضوعات أو ما يجرى مجراها ؟ من ذلك تتحققون أن الاقاصيص التى تناقلونها من أفواه العامة عنى لا تختلف عن هذه شيئاً

— ٤ —

إن بعد هـذه التهمة عن حقيقة الواقع ، لايجعل لها وزنا يقام، ولا لغيرهاما سمعتم من الكثيرين من انى أجعل الكسب المادى رائدى في بث تعاليمى : ولا أظن أن هناك نفراً كبيراً في أن أتبع في نشر التعاليم وتلقين مبادىء الحكمة ، تلك الطرق التى يتبعهـا « جورجياداس » الليوتونى ، أو « برودیکوس » الكيوسى ، أو « هيبياس » الأليسى . إن هؤلاء ليهبطون أية مدينة من مدن بلادكم التى تعرفونها ، فيغشونها كما تغشى سحابة الصيف أديم السماء الصافية ، و يبذلون جهـد مستطاعهم ، حـتى يجتمع من حولهم بعض من الشبان الذين ينضمون الى غـيرهم من بنى جلدتهم من غير أن يخصص عليهم أستاذهم أجراً ما . وبهذه الطريقة يمكنهم أن يستدرجوا الشبان ويغروهم على ترك الجماعات الأخرى إلى جماعتهم ، ثم يرهقونهم فيما بعد بما يأخذون منهم من المال أجراً على تعليمهم . وما أبعد هذا عن سنن الاحتشام والأدب المرضى . ولم أذهب بكم بعيداً ؟ فلدينا فيلسوف آخر من « بيروس » يوجد الآن فى بلدة أعرفها . وذات يوم وقع لى أن أقابل صديقاً لى انفق من ماله على السفسطائيين اكثر مما صرف كل مولع بالحكمة على غيرهم ، وأعنى به « كاليوس » بن « هيبونيكوس » وله ابنان ، فعن لى أن أسأله سؤالا : فقلت له :

« يا كاليوس، اذا فرضت أن ابنيك لم يكونا انسانين ، وكانا مهرين كريمين أو ثورين ضخمين ، اذن لاكتريت لهما سائساً يقوم بواجب خدمتهما وتظافتهما وجعلهما زينة وقنية طيبة . ولنفرض أن هذا السائس يكون زارعاً أو مربياً للخيول . غير أنهما يا كاليوس من بنى الانسان وتربيتهما عليك حق مفروض . فهل فكرت فى مرب لهما يقوم بتثقيفهما ؟ وهل يوجد انسان يمكنه أن يعرف ما ينبغى أن يكون الفرق بين الفرد المطلق ، و بين الفرد الذى هـو تابع لرعوية الحكومة ؟ انى أعتقد أنك فكرت فى هذا الأمر لأن لك أولاداً . وهل يوجد

ذلك الشخص أم لايوجد ؟ فأجابنى بأن « نعم من المحقق ان شخصاً كهذا لابد من أن يكون موجوداً » . فسألته أو تعرف من هو ، ومن أين أتى وكم يأخذ من الأجر على تعليمه الاولاد ؟ فقال . انه « اينوس » وقد أتى من « بيروس » ، ويأخذ خمسة أمنان على كل طفل » — عند ذلك علمت ان « إينوس » هذا اسعد الناس اذا كانت له هذه القدرة الفائقة ، ونفسه راضية بهذا الاجر الزهيد ! ! ! اما اذا كان لى مثل هذه القدرة ، إذن لقمت فى الناس وتظاهرت بالعظمة ؛ ولقذف بى حب الجاه الى التيه عليكم ، والنيل منكم ، ولكن ليس لى هذه القدرة أيها الآثينيون .

— ٥ —

قد يقول البعض منكم — ياسقراط : ماذا يمكن أن تكون تعاليمك؟وما الذى آثار من حولك هذه الجلبة، وأقام ضدك هذه الدعاوى ؟ من المحقق انك اذا لم تكن قد فعلت إلا كما فعل غيرك ؛ لما علت الجلبة من حولك ؛ مالم تكن قد أتيت أمراً إداً خالفت فيه بقية الناس ! يجب أن نعلم منك ماهو ذلك الأمر حتى لانترك وانفسنا ؛ فيكون لنا الحدس منك شبحاً موهوماً » .

يظهر ، يا أبناء أثينا ، أن هذا سؤال ذوقيمة ، وساعمل جهد استطاعتى حتى أوضح لكم ماهى الوسائل التى نشرت عنى هذه الاقاصيص ، وروجت هذه الاشاعات الكاذبة . فاصغوا الى إذن .

سوف يسبق الى حدس البعض أنى أسخر منكم أو استهزىء بكم . ولكنى أؤكد لكم أنى لن أقول إلا الحق . والحق ، يا أبناء أثينا ، أن الذى نشر اسم سقراط فى عرض البلاد وطولها ضرب من الحكمة العقلية اكب على درسه واوقف على بحثه سنى حياته. لااقل من هذا ولا اكثر . وماذا يمكن أن تكون هذه الحكمة العقلية ؟ قد يتفق ان تكون هى الحكمة اللائق ببنى الانسان معرفتها . ويحتمل أن اكون جهبذاً كبيراً فى هذا الضرب من الحكمة . على أن من

ذكرت لكم الآن أسماءهم قد يكونون جهابذة مبرزين في ضرب آخر من الحكمة أبعد مما يتسنى لبنى البشر معرفته ، أو غير ذلك من صنوف المعقولات ، مما لا اقدر على تحديده لكم .

انى أتوسل اليكم أيها السادة . أن لاتقطعوا على سياق قولى ولاتهوشوا على ، ولو أنكم ظننتم انى قلت ماقلت تيهاً بنفسى وعجباً .

ان الكلمات التى أقولها لكم الآن ليست لى . بل انى اسندها إلى خطيب طالما أحنيتم له الرءوس اجلالا . أما الشاهد الوحيد الذى سأشهده على ما اشتغلت به من ضروب الحكمة — إذا شمحتم لى بأن أدعوها حكمة أو شيئاً من طبيعتها — فهو ذلك الآله الذى يسكن « دلفى » . وأظن أنكم تعرفون « شيريفون » . إنه كان صديقى منذ نعومة أظفارى وطفولتى ؛ وهو صديق نظامكم الديموقراطى أيضاً . إنه رافقكم إلى المنفى وعاد معكم (١) . وإننى لاعرف حق المعرفة طباع « شيريفون » وصفاته الاخلاقية ، وغيرته على كل عمل القيت اليه مقاليده ، إنه هاجر الى « دلفى » وحملته شجاعته على أن يسأل الصوت الآلهى سؤالا :

انى أتوسل اليكم أيها السادة ان لاتهوشوا ولا تقطعوا على سياق قولى فيما اقول .

سأل الهاتف إن كان يوجد رجل أعقل منى . فاجابته راهبة المعبد بان الصوت أجاب سلباً . وعندى على صدق روايتى هذه شاهد عدل هو أخو

---

(١) بعد أن خضعت سبارطة عام ٤٠٤ ق . م . تقوض فى آثينا عرش الحكومة الديموقراطية. فاجتمع بعد ذلك مجلس من ثلاثين عينا من أعيان الآثينيين بصفة مؤقتة فى مبدأ الأمر ، وانحصرت السلطة فيهم ، فظلموا وتعسفوا ، ففر زعماء الحكومة الديموقراطية خوف الموت ، وذهبوا الى منفاهم . وبعد سنة انقلبت الاحوال . ورجع الديموقراطيون ووطدوا اركان الحكومة الديموقراطية الحرة ، وقد عمدوا فى بعض الأحيان الى قوة السلاح حتى استتب لهم الأمر .

(مترجم)

« شيريفون » . لان « شيريفون » يطوى الآن المرحلة الاخيرة من عمر الدنيا.

— ٦ —

اسمعوا الآن لماذا أقول لكم هذا . سأوضح لكم كيف انتشرت عنى الاقاصيص الكاذبة .

عندما سمعت رواية « شيريفون » سألت نفسى : « ماذا يقصد الآله بذلك » ؟ والى أى مرمى ترمى اشارته » . ؟ انى ، والحق يقال ، ماعددت نفسي يوماً من الأيام عارفاً بحقيقة شيء من الأشياء رفيعاً كان أم وضيعاً . فماذا يقصد الآله اذن إذ أشار بأننى اعقل الناس ؟ انه لايكذب ، لان الكذب عليه مستحيل . وظللت فترة من الزمان تائهاً في بحر لجى من التفكير ، أطيل التأمل والاستبصار فيما يمكن أن يكون قصده . و بعد أن ملت التفكير ، ابتدأت أبحث الأمر من طريق عملى ، وخططت لنفسى خطة اخذت فى تنفيذها بان ذهبت إلى رجل من الذين أتوسم فيهم العقل والحكمة ، ظناً منى بان ادفع قول الهاتف وأقول له — « هو ذا رجل أعقل منى ، وقد قلت بانى أعقل الناس » — وعند ما حققت النظر فى الرجل — ولا بجد ربى أن اذكر اسمه وهو من بنى جلدتكم يا أهل أثينا — أمكننى أن اعرف مكنونات صوره ومكنوزات طبعه ، وتمكنت من تجربته ومحادثته ، وعرفت أنه يخيل الى الكثيرين ان فيه فضلا وعقلا راجحاً ومنهما براء . وعندها تعمدت أن اظهر له انه يعتقد بنفسه و يظن انه عاقل زوراً ، فى حين أنه ليس عاقلا ولا أديباً . فتفجرت ينابيع الغضب من وجهه ونفر منى ، وجاراه فى غضبه كثيرون ممن سمعنا ، فتركتهم وذهبت مفكراً في أمر نفسى . وهنا تبادر الى أننى على أية حال اعقل من هذا الرجل . ومن المحتمل أن يكون كلانا غير عالم بشيء من حقيقة الخير المحض أو الجمال المطلق ، غير انه يظن انه يعلم منهما شيئاً وهو افرغ من وعاء . اما انا فان كنت استوى معه في الجهل فلست مدعياً . ومن هنا وضح لى انى أعلى منه فى العقل ذروة ، لانه لايخيل لى ، على الاقل ، انى اعرف اموراً

لا اعرف منها شيئاً . فتركت الرجل وسعيت الى غيره ممن توسمت فيهم العقل والمعرفة ، فكان أمرى معهم ، كأمرى مع هذا الرجل ، ولم تخطىء تجربتى احداً منهم . يولون من وجهى غضابى ، او هم يفرون من قوة الحق الصراح .

— ٧ —

وهكذا لم اترك احداً منهم الا خبرته ، حتى انتيت عليهم الواحد تلو الآخر . غير خاف على ما كان يقع منهم وراء الستار ، حزين لما يقع ووقع لى معهم ، شديد الخوف من أن ينتهى الامر باهانتى . غير انى على الرغم من هذا كنت اشعر دائماً انه يجب على أن اضع كلام الصوت فى المنزلة الأولى من نفسي ، وان اذهب فى بحثه الى الغاية القصوى ، وأن اختبر كل من اتوسم فيهم العلم والمعرفة ، لعلى اقف على حقيقة مايقصده الصوت من قوله . واليكم يا أبناء أثينا ، نتيجة بحثى وعنائى .

لقد توصلت خلال بحثى الى نتيجة من النتائج ذات شأن كبير . عرفت أن اكثر الناس شهرة اشدهم قصوراً وجهلا ، وأن الذين يظن فيهم انهم أقل منهم فى العلم منزلة ، اكثر منهم حكمة ، واغزر مادة ، واحد ذهنا ، وأقوم بديهة ويجب على أن اظهر لكم في هذا الموقف المهيب ان مجهوداتى في سبيل اظهار ان ماقاله الصوت كان حقاً ، اشبه بمجهودات « هرقل » فى حروبه . فبعد أن أعيتنى الحيل في رجال السياسة ، عمدت الى الشعراء ، ومنهم إلى مؤلفى الروايات ثم الى كتاب الاغنيات ، تخيلا منى انى اعمل عملا وأسعى سعياً ، فما وجدت نفسى الا اشد منهم قصوراً ، واعلى منهم فى الجهالة كعباً . فطفقت ابحث اشعارهم التى يخيل الى المراء انهم صرفوا فيها كل قوى مخيلتهم وحكمتهم ، وسألتهم عما يقصدون منها ، لعلى اعرف منهم جديداً ، او اعلم مالم اكن اعلم من قبل . والآن ، ياأهل أثينا ، ان وجهى ليندى مما اقول ، وقوله على ضربة لازب .

وجدت ان كل من حضر ندوتنا امكنهم أن يعرفوا من الاشعار ويتكاموا فيها بعبارات اشد طلاوة مما فاه به واضعوها . غير أنى بعد ذلك ثبت الى نفسي ، وأدركت ان أوضاع الشعراء لا تبنى على الحكمة ، بل على سليقة خاصة أو إلهام ما ، كما هى الحال في الانبياء . وإنهم ليأتون فى أشعارهم بالحكمة وفصل الخطاب، غير أنهم لا يفقهون مما يقولون شيئاً . ولقد ظهر لى أن الشعراء لا يتغيرون، بل يظلون على وتيرة واحدة أكثر أيام حياتهم .وقد اتضح لى أنهم يتيهون عجباً ويظنون أنهم ذوى عقل وحكمة ، وانهم يعرفون أموراً كثيرة كشفت لهم أسرارها دون بقية الناس ، وهم فى الحقيقة لا يعلمون شيئاً . لهذا تركتهم علماً منى بأن لى عليهم من خطر السبق فى الجهل مالى على رجال السياسة .

— ٨ —

انتهى بى البحث الى العمال الذين يحرزون كسبهم بقوة سواعدهم . وكنت أشعر دائماً بأنى غير عالم بحقيقة شيء يمكن أن يكون له قيمة ذاتية ، بل كنت أعتقد أن هذه الطبقة من الناس على علم باسرار غريبة تأخذ بالعقول و الالباب، فلم تخطىء فراستى فيهم . وجدت أنهم يعرفون أمورا كثيرة لا علم لى بها ، ولا دراية لى بحقائقها ، فهم بطبيعة الحال أعقل منى وأوسع معرفة. غير أن طبقة العمال، أيها الاثينيون ، لم يكونوا أقل من الشعراء حظاً فى الاعتداد بأنفسهم . فكل منهم يعتقد أنه فى صناعته أعقل من كل الناس ، وأوقف على أسرار الصناعات من غيره ، تيهاً واعتداداً بنفسه . وهذه الخلة محت حسنات علمهم ، وحجبت عن الاعين حكمتهم . وعند ذلك سألت نفسى بالاصالة عن الصوت ، عما اذا كان ينبغى على أن أكون على ما أنا عليه ؛ بعيداً عن حكمتهم الصناعية ووجاهتهم من الاعتداد بأنفسهم ، أو أتشبه بهم فى كلا الامرين . ولقد أجبت نفسى على

تساؤلى هذا ، وبالاصالة عن الصوت ، أنه من الحكمة أن أبقى على الحالة التى أنا عليها .

— ٩ —

هذا البحث ، يا أبناء أثينا ، هو الذى أوغر الصدور منى ودفع بكم الى الحقد على والنيل منى ، باشد ما يظهر الحقد فى أخبث لبوسه والأم ضروبه . وتبع ذلك سلسلة من التهم والوشايات افتريتموها على وكنيتموني بسقراط « الحكيم أو العاقل » . فان الذين كانوا يلتقون بى يظنون انى عاقل حكيم ، وكنت أعمل جهد استطاعتى حتى أخرج من رؤوسهم ورؤس غيرهم هذه الفكرة . والحقيقة ، يا أبناء أثينا ، أن العقل والحكمة لله . ومن المحتمل أن الصوت لم يقصد من قوله الا أن يقول لكم إن الحكمة التى تصل اليها العقول البشرية دنيئة لا يعتد بها ازاء الحقيقة المطلقة . ويخيل الى أنه لم يقصد شخص سقراط الذى يتكلم فيكم الآن ، وأنما اتخذ اسمى علماً جامعا قصد به النوع البشرى : كأن يقول لكم : « أيها الناس — ان أعقلكم هو الذى يعلم كما يعلم سقراط أن عقله وحكمته لا يغنيان شيئاً » .

هكذا كانت نتائج ابحاثى القصية منذ تلك الساعة حتى اليوم ، مدفوعاً بواجب الطاعة العمياء لذلك الصوت حيثما صادفت رجلا من بنى جلدتنا أو أجنبيا عنا ، اشتهر بالعقل أو وصف بالحكمة ، فاذا لم يظهر لى أنه عاقل عملت بما ألهمنى به الله ربى ، وبينت له أنه ليس بعاقل ولا حكيم . وكنت خلال هذه الفترة التى أبحث فيها بحثى المتواصل لأظهر حقيقة ما يقصده الصوت من قوله ، مكباً كل الاكباب على عملى حتى انى لم أترك لنفسى من الوقت ما انفقه فى عمل ما غير هذا ، حتى نسيت شؤونى الشخصية ومصالحى . وانتى كما ترون أعيش عيش الفقر المدقع والفاقة المائسة لاتفرغ للقيام بواجباتى نحو الذى فطرنى .

— ١٠ —

ولم يقف بى الامر عند هذا الحد . فان الشبان الذين يتبعون تعاليمى ،

والذين لهم من الوقت متسع — وهم أبناء الاغنياء ذوى الامهال الطائلة — قد وجدوا فى مناقشتى الناس لذة لهم ونفعاً ، فعملوا جهد ماوصلت اليه قدرتهم ، على حفظ أقوالى وتسطيرها ، وأخذوا فى سؤال الناس أسئلة كثيرة ، ليختبروهم بها ، وليقفوا على مبلغ علمهم وحكمتهم . وأنه يخيل الى أنهم لم يجدوا من بين الرجال الذين حادثوهم ، رجلا يعرف شيئاً من الحكمة ، بل قشوراً لاتسمن ولاتغنى من جوع . فمن يتفق أن يناقشه تلاميذى يدفع به الغضب الى التحامل على دونهم ، ويقول إنه يوجد رجل يقال له سقراط ، اتخذ التضليل ديدناً ، وغرس مبادىء الشر والرذيلة حرفة ، فافسد الشبان ، حتى اذا سألتهم عما يقول سقراط هذا وماهي مبادىء حكمته وأساس تعاليمه ، خرست السنتهم ، وصمت آذانهم ، ولم يقووا على اخراج كلمة يتفوهون بها لجهلهم مبادئى وتعاليمى . غير أنهم تخلصاً من جرح ذلك الموقف الذى يلقون بأنفسهم في غماره ، يأخذون فى سرد تلك التهم التى يوجهونها إلى كل فيلسوف عدت فلسفة أحد ادراكهم ، قائلين إنه يتكلم فى خلق السماوات ويبحث فيما تحت الثرى ، ويغرى الناس على نبذ المعتقدات الدينية وفكرة وجود الله ، ويظهر للناس حسناً ماليس بالحسن . انهم لايتجشمون مشاق البحث وراء الحقيقة لينشروها بين الناس ، ويعتقدون أنهم على شىء من الحكمة واصولها ، وهم في واقع الأمر لايعرفون شيئاً . غير انهم على جهلهم وطاعيتهم وسعايتهم ، قد تمكنوا بكثرتهم وترتيب أعمالهم وسيرهم على نظام موضوع ، ان يملؤوا رءوسكم بأضاليلهم وما نشروه عنى من مخازيهم الجلى . وتبعهم فى ذلك مليتوس وأنيتوس وليقون . فأخذ مليتوس قيادة الشعراء ، وأنيتوس قيادة العمال ورجال السياسة ، وليقون قيادة الخطباء : حتى أنه ليكون من المعجزات ، كما قلت لكم من قبل ، لو يسعدنى الحظ العاثر بان أخرج من أذهانكم خلال هذه الفترة القصيرة التى سمحتم لى فيها بالدفاع عن نفسى ، آثار تلك الاقاصيص التى نشروها عنى . هذا هو الحق الصراح بأنباء أتيتنا . لم اترك حقيقة ، ولم اخف عنكم أمراً ، كبر

شأنه أم صغر . وعلى الرغم من هذا فانى موقن بانى قد استثرت بذلك عواطفكم وحركت احساساتكم ، ونبهت نائم حقدكم . وفى ذلك الدلالة الواضحة على أن ماقلته هو الحق ، وأن التهم التى توجهونها الى لم تخرج عما وصفتها به فى درج كلامى ؛ وأن فروضى صحيحة ، وأن استنتاجاتى أصح . ولو تدبرتم الأمر او عانيتم مؤونة التفكير فيه من بعد ، لما عدوتم حقيقة شىء مما سمعتم .

— ١١ —

ارى أن فيما قدمت من القول ، هو كل مافى الدفاع عن مسألتى أزاء متهمى الأول ، والآن أبدأ فى دفع اقوال مليتوس — الرجل الوطنى الخير كما يكنى نفسه ؟ وأدحض ببرهانى مايقذف به نحوى من التهم المفتراة ، هو ومن تبعه . وهؤلاء هم القسم الثانى ممن وجه إلى التهمة منكم — ولأشرح لكم الآن قرارهم الذى يتهمونني فيه . هم يقولون « أن مليتوس يؤكد أن سقراطاً مجرم . لانه أفسد الشبان وهوش عقولهم ، وأنكر الاعتقاد بالآلهة الذين يستمسك كل من فى المدينة بالايمان بهم والاعتقاد فيهم ، وأنه خلق من قوة الوهم قوى آلهية اخرى احلها محل تلك » . هذه كل تهمتهم التى يوجهونها إلى . فلنبحثها لعلنا نستبين وجه الصواب . انه يقول بانى أفسد الشبان وأهوش عقائدهم . غير أنى أدفع هذا القول ، أيها الآثينيون ، بانه هو نفسه مجرم في اشياء أخرى جديرة بالنظر والاعتبار : انه مجرم فى أن يدفع إلى المحاكمة رجالا يوجه اليهم تهما سخيفة مثل التى تسمعونها الآن ، مدعياً أنه يعنى كثيراً بأمور لم يوجه ذهنه ساعة إلى التفكير فيها . وسأظهر لكم حقيقة ما اقول .

— ١٢ —

تقدم ياملیتوس وخبرنى : انك تعتقد أن من الواجب أن يكون الشبان خيرين فضلاء بقدر ماتسمح بذلك الظروف .

— نعم

— وهل لك أن تخبر هيأة المحكمة عمن يسلكم الصراط المستقيم ويهديهم السبيل السوى ؟ من البين أنك تعرف ذلك الرجل ، مادمت قد فكرت فى الامر ، وتقول بأنك اهتديت إلى من يهوش عقولهم و يفسد عقائدهم بموجهاً الى هذه التهمة وستمتنى الى المحاكمة أمام هؤلاء القضاة . فخبرنى بربك اى الرجال يرقى بمستوى اخلاقهم ؛ و يهديهم إلى الطريقة المثلى ؟ أراك الآن وقد اسكتك حرج الموقف عن الجواب . ألا يتولاك الخجل . ألم أك صادقاً حين قلت انك لم تفكر من قبل فى الامر . غير أنى أسألك مرة أخرى أيها الصديق عن ذلك الرجل .

— إنها القوانين وشرائع الاجتماع لا الرجال .

— كلا أيها الرجل الخير . لست عن هذا أسأل . إنما أسألك أى «الرجال» أصلح لتربية الشبان وهدايتهم . ولاشك ان ذلك الرجل يكون ذا المام بأصول الشرائع

— أقول ياسقراط إن هؤلاء القضاة هم الرجال الذين يقومون بواجب تربيتهم

— أتعتقد حقاً يامليتوس ان هؤلاء الرجال هم أولى الناس بالقوامة على شؤون الشبان ، وهم الذين يرقون بمستوى أخلاقهم وآدابهم فى الاجتماع ؟

— معتقد ذلك كل الاعتقاد

— أيشمل اعتقادك الكل أو البعض منهم لا غير .

— اعتقادى يشملهم جميعاً .

— حسن . حسن . انها لثروة عظيمة من الخيرين والزعماء . وماذا تقول فى المحلفين ؟ هل يمكنهم أن يقوموا بعبء ذلك ؟

— أى نعم فى مستطاعهم

— وماذا تقول فى أعضاء المجلس ؟

— وهؤلاء أيضاً .

— حسن يا مليتوس وماذا تعتقد فى أعضاء الجمعية وهذا الجمع الحاشد

انهم لا يهوشون شبانك ولا يفسدونهم على ما يخيل الى . الا تقول أيضاً انهم يصلحون للامر .

— أى نعم . كل هؤلاء بالشبان موصى وعليهم قوام زعيم .

— اذن: فالكل ماعداى يصلحون ! ! ! يتضح من قولك أن كل من فى « أثينا » يصح أن يكون للشبان هاد ، وأنا من دونهم رئيس عصبة الزنادقة وزعيم الضلالة الكبير . الست ذلك تعنى ؟

— لم تخط باستقراط الصواب .

— واسوأتاه . ما اعثر جدى . ولكن اجبنى . أليك هذه الفكرة عينها اذا بدلنا الشبان بالخيل . اتعتقد أن كل النوع البشرى برمته ، وفق فى تربية الخيل ورياضتها ، الا شخصاً واحداً يميت نسلها ويبيد نوعها ؟ ام على العكس من ذلك تعتقد انه يوجد فرد واحد ، او على الاكثر نزر يسير من الناس هم الاقلية العظمى ، يمكنهم ان يزيدوا نسلها ويحسنوا من صفات انسالها ، وأن العديد الاوفر والاكثرية الكبرى هم الذين يبيدونها . اليس الامر كذلك يامليتوس فى الخيل وبقية انواع الحيوانات كافة ؟ لا ريبة فى ان هذا هو الواقع ، اعترفت به انت وأنيتوس أم لم تعترفا . وانه من سعود هذا الزمان ، بل ومن حسناته البالغة ان يكون فى طول أثينا وعرضها ، رجل واحد يضلل اهلها ويسلكهم مسالك الفساد والرذيلة ، بينما تهديه البقية الى الطريقة المثلى ! ومع هذا فقد برهنت يامليتوس على انك لم تحلل العناية بامور الشبان محلها من الشأن والاعتبار ، وأبنت لكل ذى بصيرة أن عنايتك بهم عدم صرف ، وانك لم تفكر قط فى الامر الذى من اجله توقفنى اليوم فى موقف الاتهام ، وتنزلى منازل المجرمين .